



Ethics of Human Relations in the Philosophy of Paul Ricoeur



Received: 10/05/2025; Accepted: 29/10/2025

Anissa ACHI*

Abou Bekr Belkaid University Tlemcen (Algeria), brillenteletoile@gmail.com

إيتيقا العلاقات الإنسانية في فلسفة بول ريكور

الكلمات المفتاحية:

أنا ؛
آخر ؛
اختلاف ؛
تواصل ؛
تعددية ثقافية

ملخص

تهدف هذه الورقة البحثية إلى توضيح واقع العلاقات الإنسانية في اليومي المعيش وما تواجه من تحديات راديكالية خلال الفترة المعاصرة التي اكتسحتها الحضارة التكنولوجية، فانبتقت معالم التعددية الثقافية التي أدت بدورها إلى تكريس تجربة الاختلاف و تفعيل أسلوب الحوار و التواصل، و هو الأمر الذي خاض بول ريكور البحث فيه بغية تأسيس مبادئ أكسيولوجية تساهم في انتشار الذات الإنسانية من مركزيتها الدوغمائية و انفتاحها على الآخر، من أجل تحقيق العيش المشترك الذي يعزز السلم و الأمان !

و قد تم اعتماد المنهج التحليلي لتحليل الأفكار و المبادئ التي وضعها ريكور كحجر أساس لضبط السلوك الإنساني، وصولاً إلى أسلوب إيتيقي و حضاري يتمشى مع العصر المعلوماتي دون التجرد من أصول الهوية و معالمها الأساسية في الذات الإنسانية.

Abstract

This research paper aims to clarify the reality of human relations in daily life and the radical challenges it faces during the contemporary period, which has been swept by technological civilization, and the features of cultural pluralism have emerged, which in turn led to perpetuating the experience of difference and activating the method of dialogue and communication, which is what Paul Ricoeur delved into. Researching it in order to establish axiological principles that contribute to lifting the human self from its dogmatic centrality and openness to others. In order to achieve coexistence that enhances peace and security !

The analytical method was adopted to analyze the ideas and principles established by Ricoeur as a cornerstone for controlling human behavior, arriving at an ethical and civilized method that is in line with the information age without being stripped of the origins of identity and its basic features in the human self.

Keywords:

Ego ;
Other ;
Difference ;
Communication ;
Multiculturalism

* Corresponding author, e-mail: brillenteletoile@gmail.com

Doi:

I - مقدمة

المجتمعات البشرية تشهد في الفترة المعاصرة تدفق معلوماتي هائل في كل مجالات حياتها، إذ أصبحت هوية الفرد بدورها تعيش تحدي عولمي انبثق منه تنوع ثقافي، فأقر بحتمية التمايز و الاختلاف مع الآخر. لتعيش الهوية الذاتية رهان التعددية الثقافية و خطاباتها الإيديولوجية تحت لواء تجسيد ثقافة العيش المشترك و الانفتاح على آفاق أنطولوجية وفق منحى إيتيقي. كما أن العلاقات الإنسانية يحكمها فعل التواصل فيما بينها، و هذا ينفي تلك النزاعات الفكرية التي عملت على تعزيز سلطة الأنا و مركزيتها و تهميش الآخر، للخروج من دوغمائية علاقة الأنا بذاتها لتحقيق السلم و التسالم بين الذات و الشعوب و الحضارات.

بمعنى التواصل مع الآخر ضرورة حضارية، لا يعني أنها تحدث إلا في حالة الاتفاق، بل حتى في حالة الاختلاف شريطة أن تكون مبنية على الاحترام و التعاون بين الذات الإنسانية أين يحدث ذلك الجدل القائم بين التطابق و الاختلاف. فالتواصل له أهمية خاصة نظرا لاختلاف ثقافات العالم و تقاربها، و ما يترتب عن هذا التواصل من شعور تفوق الذات على الآخر. الذات التي تضطر للتmasف و الاختلاف مع ذاتها لاستعاد هويتها، لأنها أصبحت مختلفة عن الذات عينها.

في حين تجربة الاختلاف تساهم فلسفيا في إعادة تشكيل الهوية الذاتية من خلال التعاطي مع مسألة الذات لتأسيس فضاء العيش المشترك الذي يساهم بدوره في تعزيز علاقة الأنا بالآخر، مما جعل الفرنسي بول ريكور (1913-2005) يعيد النظر في العلاقات الإنسانية بنظرة إيتيكية تؤسس لبناء العيش المشترك من خلال إعادة صياغة مفاهيم الهوية و الغيرية مقابل التعددية الثقافية و تنوعها، التي تساهم بدورها في الانفتاح على الآخر وفق تكريس مبادئ إيتيكية في الحياة اليومية و حيثياتها الراهنة. الأمر الذي يدفع للتساؤل عن الكيفية التي عالج بها بول ريكور العلاقات البيئانية في خضم الصرح المعلوماتي و ما يفرزه من تنوع ثقافي في الواقع المعيش؟ من خلال هذا الانشغال الفكري يمكن اعتبار أن هناك مبادئ أكسيولوجية اعتمدها ريكور في تأسيس نظريته الإيتيكية حول العلاقات الإنسانية، كما قد تكون هناك سبل أخرى انتهجها!

و للخوض في غمار مواضيع التذات الإنسانية و ما تكتنفه من مسائل إبستمية، تم اعتماد ما أدلى به بول ريكور ضمن مؤلفه الشهير (1990) "Soi-même comme un autre" الذي تمت ترجمته من طرف المفكر "جورج زيناتي" إلى "الذات عينها كآخر" سنة 2005، إذ حاول من خلاله توضيح الرهانات التي تلازم ذات الفرد سواء مع ذاته نفسها أو مع الآخر يعيش معها، و كذا شرح الكيفية المناسبة التي ينبغي أن تتعامل وفقها الذات الإنسانية مع غيرها.

II - سؤال الهوية في خضم التعددية الثقافية:

تواجه الهوية رهانات تتجسد في تقبل ثقافة الغير مع احترام التنوع البشري (الجنس Gender و التنوع العقائدي .. فما نلاحظه في المجتمعات ذات التمازج العرقي و التنوع الثقافي أصبحت تعيش تحت ضغط و تهديد لزوال هويتها و إرثها الأصيل، بفعل التغيير الذي تفرضه التعددية الثقافية بفضل الوسائل المعلوماتية التي عولمت حتى التواصل بين أفراد العائلة و الأقارب. لذا أصبح التنوع الثقافي ينبثق منه صراعات و أزمتان نظرا للأفكار الإيديولوجية المتعصبة و العنف الفردي و الجماعي. ليتضح بذلك أن ما تواجهه الهوية من تحدي فهو مرتبط بالعولمة التي تروج لمنتوجها الثقافي إلى غاية طمس الهوية الإنسانية!¹

1- II - الهوية الذاتية و التعددية الثقافية: أي تحدي؟

إن اعتماد التنوع الثقافي و دعمه ينطوي تحت لواءه تهديد صريح للهوية، إذ ظهرت حركات ثقافية تدافع عن العولمة، و بالتالي هذا التنوع الثقافي و اللغوي و ما أدى به إلى تفاعل الثقافات من خلال موجة المعلوماتية خلق أزمة في الهوية! فأمام الغزو المعلوماتي بمنتجاته الثقافية يجدر معالجة التساؤل حول محل الهوية الخاصة بكل جماعة وسط صراع لم يحسم بعد بين العولمة و ما تحمله من صناعة ثقافية عالمية و تأثير ذلك على الهوية، لأن الامتثال أمام قانون الانفتاح على ثقافة العولمة و افرازات الحداثة غالبا ما يؤدي إلى اضمحلال خصوصيات الهوية، كم تساهم في ضمور عادات و تقاليد المجتمع.

ظاهرة عولمة الثقافة و ما تحمله من رواج لمنتوجها الحداثي نجم عنها تصادم بين الثقافات، و هذا نتاج تحدي الثقافة المهيمنة للثقافة المحلية. فعلى نحو كذلك تساهم التعددية الثقافية في الانفتاح على الآخر و احترامه و التعايش معه مهما اختلفت اللغة و الدين و العادات حتى يعم العدل الاجتماعي و يسود السلام و يتمتع كل فرد بحريته الذاتية و موارثه الثقافي و اختياراته من حيث الانتماء. لذا استثمار التنوع الثقافي له دور في خلق حكومات ديمقراطية تعترف بحقوق الإنسان و الحريات الثقافية، كما تعترف بحق الاختلاف الذي يساعد على فك النزاعات.²

2- II - مآل الهوية أمام الغزو المعلوماتي و التنوع الثقافي:

قد تم التفكير بالهوية منذ انبثاق الفكر الفلسفي مع أرسطو باعتبارها وحدة الشيء مع ذاته، و الاختلاف بدوره يكمن في تلك الوحدة أما الكثرة تحتجب في أعماق الواحد. فلعلها اللحظة التي جعلت إثارة سؤال الهوية عند هايدغر بوصفها مبدأ للتفكير، متجها بذلك صوب الشيء الذي تم التفكير فيه، لكنه يؤسس لذلك الاختلاف عندما ينحرف بمساره صوب اللامفكر فيه أي خلق تلك القوة الظاهرة للفكر و يختفي تحت ظلها المهمش و اللامنطوق ! يجعل من هايدغر العودة إلى العبارة التي قال بها اليوناني بارمنيدس "الفكر و الكينونة هما الشيء ذاته" إذ يفسرها هايدغر خارج شروط التمثل الميتافيزيقي.

أراد بارمنيدس القول أن الهوية أو ذاتية الشيء هي حاصل ذاك الانتماء المشترك بين الكينونة و الفكر، و بالتالي هذا هو معنى الهوية ذاتها المحتجبة عنا في التفكير. و انبثق قبل ذلك النمط الميتافيزيقي لفهم معنى الكينونة. فعلى نحو كذلك يطرح هايدغر مسألة الاختلاف بين الكينونة و الكائن إلى ذلك النسيان الذي ينتمي إلى الاختلاف، لأن الاختلاف يحدث نتيجة للتفكير الإنساني. أما الميتافيزيقي هي الأنطولوجيا التي تفكر بالكينونة بوصفها الأساس الكوني، لذا التفكير يجب أن ينشغل بالكينونة من حيث علاقتها بالاختلاف مع الكائن البشري.³

فالتابع السردي و التاريخي الذي طالما قابل مفهوم الهوية لتصبح الحادثة نقطة عبور من الهوية كسردية قامعة لمفهوم الفرد إلى هوية فردية متحررة من سلطة الكلية، فإن رهان العصر أصبح موجه نحو الهوية الذاتية المقترنة بحركة تحرر كل براديجم هوي. ⁴ ثم إن غالبا ما تسعى الهوية إلى تأصيل ذاتها حتى تحد من جموح الذات الطبيعي و تجابه تلك الهيمنة، و قد يكون هو الحصن الذي يقيها في الوقت نفسه غرور الذات المتحررة تحت ما يسمى بحصن إيتيقا الأصالة الفردية.⁵

ناهيك عن مبدأ الاعتراف الذي له دور فعال في تكريس حقوق الهويات الثقافية المتميزة داخل النسيج التعددي للمجتمعات الديمقراطية إلى مقومات العدالة و التسامح، مما ينم مبادئ العدالة ذاتها لا تزدهر إلا في إطار ثقافة معترف بها. هنا يفرض الاعتراف عمل الأقليات الثقافية داخل النسيج التعددي الثقافي مع المحافظة على وحدته من خلال إثرائه لا إقصائه.⁶ فيتضح من خلال ذلك أن التعددية الثقافية تعتبر نظرية تفسيرية تسعى لعقلنة الواقع الاجتماعي، ثم إنها نظرية سياسية من حيث التعامل مع التنوع الثقافي، لأنها تعزز فكرة الديمقراطية و المشاركة الجماعية من طرف مختلف الجماعات الثقافية على أساس العدل و المساواة، و الاعتراف هنا يكون من حيث التمايز الثقافي الذي يساهم بدوره في بلورة هوية الفرد أو الجماعة.⁷

و هو ما يعززه الألماني أكسل هونيث في اعتقاده أن المبدأ الأساسي الذي يكتنف ماهية التعايش هو الاعتراف، بل لا يمكن تصور ثقافة التسامح و التعايش بين المجتمعات إلا من خلال الاعتراف المتبادل الذي يساهم في التلاقح الثقافي و التفاعل الاجتماعي و يحد بدوره من التناحر الاجتماعي و إقصاء الآخر على حساب الذات. في حين يعد نموذج الحب صورة مثلى للتسامح بين الذات، بمعنى التعاطف الأسري و علاقات الصداقة و المحبة بين البشر و التراضي فيما بينهم يحقق سبل الاعتراف و التسامح و الأمن العاطفي حسب هونيث، لأن الاعتراف مبدأ إيتيقي يحقق التضامن الاجتماعي داخل نسيج التعددية الثقافية و العلاقات الاجتماعية و الثقافية.⁸ ذلك لأن التعددية الثقافية تعزز سياسة الاعتراف بالآخر و تساند التنوع الثقافي، فعلى هذا النحو تعتبر تجربة عيش في كنف مجتمع أقل انعزالية و أكثر حيوية و تنوع.

إذن التعددية الثقافية بهذا المعنى تنشأ من تجربة العيش المشترك في مجتمع تعددي متسامح فكريا يسوده الاحترام و يكون له حق الاختيار و الحرية و التغيير و التعبير عن آرائهم و التمتع بهويتهم.⁹

3- II - التنوع الثقافي وأثره على مسألة التعايش:

يعتبر التعايش أهم العناصر التي تشكل تماسك المجتمعات، و مادامت الثقافات مختلفة فإن المجتمعات ستكون هي الأخرى مختلفة، لاسيما عن ما أحدثته العولمة من تلاقح بين الثقافات، إذ تمخض عن هذا التمازج إيديولوجيات متنوعة تضمن التنوع الثقافي و تحميه وفق مراعاة تواصل إيجابي و حوار فعال بين المجتمعات.

إن فلسفة التعايش ليست وليدة فكر راهني فحسب، بل لها جذور و ارهاصات في الحضارات الإنسانية الأولى العريقة، إذ ساد التعايش نتيجة الديمقراطية البدائية إيجابيا في المجال الاجتماعي مثل ما عرفت الحضارة الكونفوشيوسية التي جاءت بتعاليم تقُدس و تحترم العادات الموروثة، و ما شهدته أيضا الحضارة اليونانية من تعايش نسبي إلى حد ما نظرا لانحصارها داخل الاقليم اليوناني، إذ عرفوا نوعا من التلاقح الثقافي نتيجة الرحلات التجارية التي عرفتها بلاد اليونان آنذاك.

إذن فلسفة التعايش أصبحت ضرورة حتمية في ظل الأوضاع الراهنة التي يشهدها العالم اليوم، مما يعزز الحوار الحضاري و يرسخ فكرة التسامح و يدعم التنوع الفكري أمام تيارات العنف و التطرف و الصراع،¹⁰ مما يجعل هذه

التحديات منوطة بتكريس ثقافة التسامح مع جعل التعايش أولوية قصوى مع خلق تنوع ثقافي من خلال الأفكار و العادات و التقاليد و اللغة و الدين المرتبطة بأسلوب الحياة الخاص بكل مجتمع .

كما تعبر هذه الثقافة عن الخصائص الحضارية و الفكرية بالرغم من الاختلاف القائم بين الثقافات لتعزيز دور العناصر الثقافية المشتركة بين المجتمعات البشرية. فالثقافة ليست معرفة جاهزة بل نمو معرفي تراكمي على المدى الطويل، و ثقافة الحوار تثن فكرة تقبل الآخر و التعامل معه بإنسانية، ثم إن الحوار لا يأتي إلا بوجود و لو حد أدنى من الاختلاف! و الذي ممكن أن يكون في التنوع الثقافي الذي يضمن بدوره تنوع الرؤى و تلاقيها عن طريق التعايش، مما يساعد على تقارب الثقافات و نشر الإيديولوجيات في ظرف سلام و أمان.¹¹

إن التنوع الثقافي و المعرفي و الفكري يحتاج إلى بنية عقلية تتمتع بحريتها من حيث الرأي و التعبير و الممارسة "البراكسيس" حتى يتمكن من تجديد أنشطة المجتمع و أفكاره و توجهاته، و ذلك وفق مبادئ الحوار و التعايش مع الآخر كمنطق وجيه يخلق تواصلا فعالا مبنيا على التفاهم. لكن من ناحية أخرى أدى هذا التنوع الثقافي الناتج عن إفرازات العولمة إلى فرض ثقافة الآخر على هوية الذات تحت اسم التعايش، مما يؤدي إلى انصهار هوية الذات الإنسانية في الأخرى، كما قد تسيطر ثقافة على أخرى فتسعى إلى طمسها و اضمحلال موروثها الأصيل، هنا يكمن التأثير العولمي على الواقع الهوي.

ثم إن الإقرار بالتعددية الثقافية قد يلغي التفاضل بين الثقافات مما ينتج نوعا من الصراع، و هذا يحصل في ظل العولمة التي يظهر في كنفها إشكالية الهويات، و بالتالي تأثير القافة في ظل الغزو المعلوماتي مثلما يساهم في الانفتاح و إثراء المعارف و تطور الفكر الثقافي على مستوى العالم، فكذلك أدت إلى زعزعة الواقع و الكيان الهوياتي للفرد و المجتمع.¹²

III- تجربة الاختلاف في الفلسفة المعاصرة:

يعيش الإنسان المعاصر حدث معلوماتي هائل في كل ميادين حياته الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية و الثقافية.. إذ أصبح الواقع الحضاري و اليومي المعيش جراء الصرح المعلوماتي يشهد تفاعل الشعوب مع بعضها بمختلف أجناسها و لغاتها و ثقافتها و معتقداتها.. و لعل ما جسده العولمة من تنوع ثقافي أفرز البعض من المزايا التي أفادت الشعوب من حيث التواصل و التثاقف، و الكثير من التحديات التي جابهت الهوية إلى حد التغيير و الاختلاف و الطمس، ناهيك عن مقاصد الهيمنة و فواجع الحروب!

فأمام هذا الصراع الإيديولوجي و التعدد الثقافي و الغزو المعلوماتي تم تعزيز مبادئ الاختلاف مع الآخر و الاعتراف به و التواصل معه، من أجل انفتاح هوية الذات الإنسانية على غيرها المختلف عنها و التواصل معه تحت ظل رهانات التعددية الثقافية التي تطرحها العولمة في العصر الحالي..

III-1- الاختلاف كحتمية أنطولوجية بين الأنا و الآخر:

إن الاختلاف ثورة ضد المطلق و ضد التمرکز حول الذات بغية الخروج من دائرة التتميط التي تجمع بين الأنا و الآخر. و من ثم يمكن الحديث عن الاختلاف ضمن جدلية الأنا و الآخر، لأنها ممارسة فكرية نقدية تسعى لتحرير الذات من أوهام التمرکز و التفوق و فك اللبس الناشئ من علاقة دوغمانية مع الآخر. لأجل هذا جاءت الدعوة للاختلاف بدل المطابقة، الاختلاف دون الوقوع في العزلة عن الآخر دون الوقوع في بئر الاعتصام بالذات و نرجسيتها، إنما الاختلاف الذي يبعث الحبوبة في العناصر التي تساهم في التكوين الذاتي للهوية، اختلاف نقدي يصنع الحوار محل السجال و التأثير الخفيف محل التمرکز الكثيف، على نحو كذلك تحدث العلاقة بين الأنا و الآخر بعيدا عن مبدأ التفاضل و حمى التفوق و وهم التماثل، إنما الاختلاف الذي يؤسس لمعرفة أحق للذات و الكشف عن ماهيتها.¹³

فالاعتصام بالذات يمثل خطورة في حقها، و بالتالي التفوق حول الذات لا يخرجها من الركود و انفتاحها على الآخر لا يكسبها الحضارة! و بالتالي التآرجح بين مبدأ الاختلاف الذي يقود للنقد الحواري و التفاعل الإيجابي و نبذ التعصب و الانغلاق..¹⁴ ذلك لأن الاختلاف يعزز التحاور و التواصل في حين يكسر قوالب النسق و التتميط، للبحث في مناطق الغياب، الهامش، اللامعقول، و اللامنطوق (المسكوت عنه). و بالتالي الاختلاف مع الآخر لا يعني حدوث قطيعة معه أو اختزاله و تهيمشه، بل القطيعة مفادها العزلة و الاعتصام بالذات على نحو نرجسي باتولوجي. لذا كان من اللزوم تنمية عوامل الاختلاف الجوهرية التي تغذي الذات. الاختلاف المتكافئ القائم على المساءلة المعرفية و المقترن بالوعي أي الاختلاف المضاد للامتثال و الخضوع. فالاختلاف لا يرمي إلى تثبيت الحقائق بل يدعوا للانفتاح على المزيد من الاحتمالات و التفسيرات و التأويلات ..

إن الاختلاف قانون حتمي. و من السذاجة الغاءه بل استثماره يبقى سبيل في ترقية العلاقة بين الأنا و الآخر، لذا هناك علاقة حتمية بين الأنا و الآخر مهما كان الاختلاف بينهما في عالم أصبح التكامل و التثاقف فيه ضرورة ملحة. فأضحى من الضروري مساءلة الآخر المختلف لتحديد طبيعة العلاقة بين الأنا و الآخر.¹⁵

III-2- نماذج فلسفية حول مبدأ الاختلاف:

يؤكد **جيل دولوز** في كتابه "الاختلاف و التكرار" أننا مختلفون و لكننا لسنا متعارضين" لذا يبقى الاختلاف مبدأ تعرف به الذات غيرها المختلف عنها، و هنا لا يكون الاختلاف مصدرا للنزاع أبدا بل يصبح دافعا للتجاوز و التواصل. بمعنى آخر أيضا الفلسفة تفقد معناها إن لم تبدع دوما مفهوما جديدا مختلفا عن غيره يحمل بفحواه ذاك النوع من التنوع و الاختلاف، و هذا التعدد موجود ضمن تجربة الاختلاف. أما ما يميز العلاقات الغيرية و البيئذاتية هو اختلاف الآخر عن الأنا الذي يوضح الرؤية إلى العالم الخارجي، و هذا ما يدل على انعدام وجود الآخر يعني انعدام قدرتنا على إدراك الأنا. لذا منطق العلاقة بين الأنا و الآخر الذي كان يحكمه الصراع و النزاع أصبح من الضروري تغييره إلى منطق التواصل و الاعتراف، لأن الاختلاف مع الآخر ليس مبرر للصراع بل وجود الأنا لا يتحدد إلا من خلال الآخر المختلف عنه.¹⁶

هذا و قد حرر دولوز مفهوم الاختلاف من سلطة الهوية، فقد كان مفهوم الاختلاف غير معترف به في ظل سيطرة التمرکز الذاتي حول الأنا. و لأن الفكر القديم كان هوبيا يفكر بمنطق الهوية فكان مفهوم الاختلاف غير معترف به، و هنا رفض جلي لمنطق الهوية الثابت الذي يأبى التغيير.¹⁷ فحسب دولوز من خلال الاختلاف يظهر خطاب الغيرية عند نيتشه في تميز قوى كل أنا عن الآخر، بحيث هذا النوع من الاختلاف يؤسس لأي علاقة كانت.¹⁸ ذلك لأن لا يمكن أن يحكم المجتمع التوافق و التماثل و التشابه، بل الاختلاف حقيقة يفرضها الواقع إذ يدفع لتبادل الأفكار و تنوعها و تعدد ثقافتها، و بالتالي يساهم في الانفتاح على الآخر.¹⁹ بمعنى الاختلاف نقطة تلتقي فيها الذات و تتعرف كل ذات على نفسها من خلال الآخر، فتحقق الانفتاح عليه و الدخول في العلاقات التداونية.

بينما جاء مشروع **جاك دريدا** ضد المركزية فكانت دعوته للاختلاف نتاج ما قال به الفكر الغربي من مماثلة، إذ اعتبرها نتائج الميتافيزيقا التي أفضت كل شيء إلا ما يتصل بالعقل حتى تتمركز كل التصورات حوله. و في ظل ظروف نشأة التمرکز العقلي لاحظ دريدا أنه قد تم تمرکز أمر آخر يكمن في الصوت و الكلام، فجاء مفهوم الكتابة ليتمتص شحنة التمرکز من تلك الظواهر، فكانت الدعوة إلى الخطاب خالية من نزعة التمرکز الذاتي.²⁰

إن الاختلاف ليس مجرد تعارض أو تناقض بل يغدو ابتعاد يقارب بين الأطراف المختلفة، كما لا يعني توحيد الأضداد إنما عبارة عن حركة فكر و انتقال عبر الزمن في شكل تنوع ثقافي. هنا تكمن هوية الاختلاف و لعل هذا ما يشرحه دريدا في قوله: "الهوية عبارة عن حركة توليد الفروقات و الاختلافات و هي بذلك انتقال ملتبس من مخالف لآخر، أي انتقال من طرف التعارض للطرف الآخر". بمعنى الاختلاف طريق التعايش و تبني الاعتدال لانبثاق الحوار و من ثم التواصل المبني على التفاهم. كما يشير دريدا إلى كل ما هو حاضر قائم على الاختلاف و من ثم الاختلاف في حقيقته محور لأصل الحاضر، أي دريدا أسس فلسفة تؤمن بالآخر و بدوره في صياغة الأنا ألا و هي فلسفة الغياب التي تؤمن بالاختلاف و تؤكد على الغيرية و الاعتراف بالآخر كمبدأ للعيش المشترك.²¹ على غرار دولوز الذي يعتبر التكرار موضوع الاختلاف و لا اعتبار للتشابه و التطابق في ذلك.

أما بالنسبة للاختلاف مع **بول ريكور** فهو ناتج عن تعدد الهويات لذا معناه الأصلي يحاكي الحفاظ على الهوية و ثباتها، و منه الاختلاف ليس ضد ثبات الهوية بل هو انفتاح على الآخر كما أن الاعتراف به هو الذي يؤسس لفكرة الاختلاف. في حين الهوية حسب ريكور تتحقق بالسرد التاريخي لكل الخطابات، و بذلك تكون عرضة للتغيير و التحرر من الشمولية و التمرکز الذاتي نحو فضاء الاختلاف و التعايش...²² كما أن الأمر لا يقتصر على ثنائيات الذات و الآخر، العرب و الغرب، السيد و العبد، و إنما هي مفاهيم تبقى تحدد الغير. و الاختلاف هنا ليس معين و إنما الفضاء الذي يخلقه الاختلاف الثقافي له أكثر من بعد سردي للذوات الأصلية، و بالتالي الاختلاف الثقافي حسب ريكور يسأل الآخر في حين يدعو إلى الاعتراف به.²³

مما ينم أن التعددية الثقافية غيرت علاقة الذات الإنسانية بالحقيقة، يعني بعدما كانت رؤية أحادية للعالم تكتنف معنى التطابق كونها قائمة على مبدأ الهوية أصبحت نسبية بفضل التعددية و التنوع الثقافي الذي يقوم على مبدأ الاختلاف. فالاختلاف الذي تستدعيه تأويلية الذات حسب ريكور يكمن في قدرة الذات على خلق المسافة التي تجعل من صوت الآخر بمثابة التوسط الضروري في فهم الذات لوجودها. كما يعرض ريكور تأويلية للذات نحو الآخر و للآخر نحو الذات.. لذا تأتي تجربة الاختلاف عنده في سياق الدفاع عن تأويلية الذات ضد أطروحات فلسفات الذات الممجة للكوجيتو الديكارتي.²⁴

الاختلاف كقيمة فلسفية و ثقافية يساهم في تأويل الذات، الذات التي لا يمكن التفكير فيها دون التفكير في الآخر، الآخر الذي لا يكون دائما خارج الذات، إذ الاختلاف هنا يملك هوية داخلية كمبدأ و كتميز على ذات غير متعالية، إنما تتعايش مع هويتها كرونولوجيا فيكون وفق ذلك المختلف و المتميز جزءا من هذا التاريخ ذاته.²⁵ يتضح من خلال ذلك نوعان من الاختلاف، اختلاف يقع فيه المختلف خارج الذات، و اختلاف آخر يقع داخل دائرة صنع الاختلاف، هنا تكون غيرية الآخر المختلف عن الذات ضمن قائمة الأضداد و التنوع و بالتالي لا يكون هذا المختلف إلا تأويلا للذات أو منعطف حاسم في مسار الوعي الجلي بها فعلى هذا النحو تميز فلسفة الاختلاف بين الاختلاف المحايث القائم على التمييز بين

الكيونة والكائن، و الاختلاف المفارق القائم على التمييز بين الهوية و التطابق من جهة و بين المعارض و المغاير من جهة أخرى..²⁶

III-3- قيمة الاختلاف في تأويل الذات:

فكلما ظهر الآخر للذات كنقيض، و نظرت الذات إلى الآخر كتهديد كلما ازدادت حدة الصراع و النزاع تأججا خاصة مع إفرات الحداثة و هيمنة العولمة التي كرسّت الإقصاء و العزلة على كل غيرية،²⁷ و قد كان الحوار كأداة للتواصل سواء على مستوى الذات داخليا أي بين الفكر و ذاته أو بين الذات و عالمها الخارجي لينتقل فيما بعد السؤال الأنطولوجي إلى أسئلة إبستمية و أكسيولوجية مرتبطة بالكائن البشري و كل ما له علاقة به خاصة مع رهانات العصر أين أصبحت العلاقات الإنسانية قائمة على الحروب الإيديولوجية نتيجة التعددية الثقافية و حتى العقائدية فضلا عن العلاقة التي سادت الفكر الغربي القائمة على الأنانية و العنف و إقصاء الغير قدر الإمكان في الحين الذي كانت فيه مساحة إفراح مكان للآخر و التعايش معه هي الاستثناء ليأخذ مبدأ الاختلاف نتاج ذلك طابعا أكسيولوجي و يصبح مفهوما فلسفيا حاضرا بقوة و مركزيا في الفكر الفلسفي المعاصر و في تأسيس الذات الإنسانية و كذا علاقتها بالآخر. و لعل هذا ما خاض ريكور البحث فيه و يتجلى ذلك في مؤلفه الأساسي " الذات عينها كآخر " الذي شكّل منعطفا كبيرا في فهم الاختلاف كقيمة فلسفية و ثقافية تمكّن من تأويل الذات وفق أسس خطاب الاختلاف. كما أن الذات عينها كآخر تدل على عدم إمكان التفكير فيها دون التفكير في الآخر، و الغير هنا ليس بالضرورة أن يكون خارج الذات بحيث الاختلاف يملك هوية داخلية كمبدأ يتعين به الاختلاف و كتميز على ذات غير متعالية بل تتعايش مع تاريخ هويتها فيكون بذلك المغاير و المختلف جزءا من هذا التاريخ ذاته.²⁸

و في هذا السياق نجد نوعان من الاختلاف فإما أن يقع المختلف و المتعارض خارج الذات، و إما أن يقع داخل دائرة صنع الاختلاف، و في هذه الحالة غيرية الآخر المختلف عن الذات يصبح ضمن قائمة الأضداد و التمايز و التنوع و بهذا لا يكون المختلف المغاير إلا تأويلا للذات أو منعطفا في مسار الوعي بها. و قد عبر عن هذا هيغل في قوله: "إن التفكير في الذات ضمن الكيونة المغايرة هو الحق". فعلى إثر هذا تميز فلسفة الاختلاف بين الاختلاف المحايث القائم على التمييز بين الكيونة و الكائن، و الاختلاف المفارق القائم على التمييز بين الهوية و التطابق من جهة و بين المعارض و المغاير من جهة أخرى.²⁹

كما تتمكن الذات أيضا من فهم ذاتها على ضوء الغير الذي يمثل وجود كيونة الإنسان، و هذه الكيونة مرتبطة ارتباطا موثوق بوجود الذات و الآخر. إذ يمثل هذا التعاقب محورا أساسيا في بروز التعايش بين الذات و الآخر مهما كان الاختلاف بينهما. فعلى هذا النحو يكون توجه الذات أكثر إنسانية حاملة للقيم الأخلاقية وفق قيم الحوار المتفتح و الذي يقود إلى تأسيس علاقة متكاملة بين الذات و الآخر، مما يساهم في تطوير الذات و يجعل منها ذات مبدعة و ليست حبيسة أفكارها، لأن الاختلاف من شأنه أن يزيد من ثراء معارفها بشكل أكثر معقولة.³⁰ ليصبح بذلك الغير مكونا أساسيا في هوية كل أنا، و من ثم هوية الغير هي من هوية الذات و العكس صحيح.

IV- التوصل في الفكر الفلسفي المعاصر:

إن تواصل الهويات في الإطار الكوني تألف فيه الخصوصيات رغم تنوع ثقافتها و اختلافها، هنا نلتبس خطاب العولمة الذي يهدف إلى تعزيز التعددية الثقافية، التي من شأنها أن تساهم في تفعيل عملية التواصل بين الذات و المجتمعات الإنسانية. ثمة رهانات فلسفية تقصد الانفتاح على الآخر الذي يربطها معه اللوغوس ضمن رؤى أكثر تفاهما و تحاورا، مما يجعل هذا اللوغوس البشري يقبل الهويات الأخرى، و من ثم يصبح هناك إمكانية للعيش سويا.³¹

1- IV- أهمية فعل التواصل بين ثنائية الأنا و الآخر:

إن منطق الهوية يقوم على الاختلاف المتواجد بين الناس و المتجلي في شكل نقاش و حوار حتى يصبح النقد الذاتي في علاقة تناظر مع الغيرية دون إقصائه، مما يعزز قوة الالتزام في التواصل الذي يعزى إلى التفاهم.³² في هذا السياق يجدر ذكر فلسفة سقراط الذي اعتمد على منهج توليد الأفكار لغاية الحوار، الحوار الذي لا يمكن للذات استخدامه دون حضور الآخر، هنا يشترط سقراط الآخر ضرورة حضارية لا مناص منها.

تأصيل العلاقة الحوارية بين الأنا و الآخر تعزى لسقراط، و من ثم أفلاطون الذي أقر بالوصول إلى وحدة فكرية بين أفراد الدولة إذ تكون من خلال فكر علانقي تشترك فيه جماعة حول رأي واحد يشكل وحدة عضوية قائمة على التواصل الفكري و الأخلاقي للمحافظة على حيوية المجتمع البشري. أما مع أرسطو وضع شروط العلاقة بين الأنا و الآخر من خلال مبدأ الصداقة، بحيث التواصل الحقيقي بين النفوس يحدث حين يتم تخطي كل الحواجز و العوائق الموجودة بين الذات و الآخر، و ذلك في إطار احترام غيرية الآخر و ليس امتلاكه.³³

فعل التواصل كفيل بوضوح الأنا للآخر مما يكشف الخبايا و الكوامن بين الذات، لنخلص أن التواصل مع الآخر كلما كانت غايته متعالية و خالصة من نوازع الأنانية كلما حققت سمو النفوس، كما تعمل عملية التواصل على رقي السلوك البشري من خلال اعتماد مبادئ إيتيقية و تجنب الكثير من المآسي، ثم إذا كانت معرفة الآخر تؤدي إلى تفاعل إيجابي معه، فإن معرفته الفحة لا تتم إلا من خلال التواصل معه، إذ يصبح ذلك التواصل منطق و غاية في الوقت نفسه. لكن

بالرغم من الضرورة الحضارية الملحة التي تدعو للتواصل مع الآخر، إلا أن الإنسان في الفترة المعاصرة لا يزال يشهد أزمة تواصل سواء مع الذات نفسها أو مع الأشخاص أو مع الشعوب و الحضارات...³⁴ و بالتالي تواصل الذات الإنسانية مع أشياء العالم و الآخر تساعده على اكتساب المعارف و آليات الحوار التي تعزز التواصل بينهم مما يجعل الذات بعيدة حتما عن الانغلاق و الإقصاء، ذلك لأن الوفاء للذات عند ريكور يجعل الهوية في انخراط مع الآخر الذي يعد المنبع الأساسي للفهم و التفاهم الذي يؤسس للعيش المشترك على نحو إيتيقي.³⁵ ذلك لأن معية الآخر في اليومي المعيش تجسد استحقاقات العيش المشترك بين الأنا و الآخر كما تحتكم إلى معايير أخلاقية و مقاصد إيتيقية قبل أن يحكمها نظام سياسي و قضائي. و في هذا السياق لا يفهم العدل باعتباره مقصد إيتيقي في معزل عن السلطة فحسب، و إنما كفضاء للعيش المشترك معا. أما السلطة فهي تؤسس الأرضية الصلبة لإمكان الإقرار الإيتيقي في العدل، الذي تتأكد فيه مكانة الآخر و يتم تحديد طبيعة العلاقة معه.³⁶

2- IV- التواصل أساس الخطاب الفلسفي عند بول ريكور:

الرهان الفلسفي الذي يقدمه ريكور يكمن في الخطاب الإيتيقي الذي يتصف بالإنسانية، إذ يحمل القضايا الإنسانية التي تعزز من قيمته وفق قيم الحوار القائم على احترام الآخر و التواصل معه. أما عن فعل التفلسف يحدث عند انفتاح الذات على الآخر في العالم الأنطولوجي، إذ ينظر ريكور إلى الترجمة أنها عملية تواصلية تكمن في عمليتي التلقي و التبليغ، أي تمرر الرسالة من نسق اللسان إلى الآخر حتى تتسنى عمليتي الفهم و التواصل بين الذات. بمعنى تجربة التواصل تكون في عملية تفاعلية أي تفاعل الأنا مع الآخر، و هو فعل أخلاقي يؤدي إلى التحرر و الانفتاح على الآخر مع تجاوز كل دوغمائية سنها الآخر.³⁷

و لعل انفتاح الذات على مستويات الفهم و التواصل مع الآخر أين يكمن تعديل فلسفة الذات، هو ما دفع ريكور إلى إعادة تأسيس فهمنا للذات. أما من أجل فهم الآخر استعان ريكور بالترجمة التي تحدث قرابة و صلة بين المؤلف و القارئ.³⁸ في حين اعتبر ريكور النص خطابا و حدثا يشمل عالم الذات و عالم المخاطب الموجه إليه، أين يحدث التحوار لأن كل خطاب يقتدر بقصدية معينة، كما أن الفهم هو فهم الذات أمام النص و النص هو الوسيط الذي نفهم عبره أنفسنا عندما تسعى ذات القارئ إلى التلاؤم مع العالم الذي يقترحه هذا النص، هنا تحدث عملية التواصل بين الذات القارئة و النص المخاطب.

تسعى ذات القارئ إلى لقاء ذاتها عبر التيه في عالم النص وفق سبل يكون فيها تحول العالم هو تحول للأنا، و ما كان لهذا العالم أن يسدي للذات ذلك لو لا المبادعة التي يقحمها الخيال في إدراكنا للواقع.³⁹ كما أن تحولات الأنا وفق عالم النص و ما تقتضيه من مبادعة في علاقات الذات مع بعضها تمكن من نقد أو هام الذات، و بالتالي فهم الذات يمر عبر النص و ليس بأحكام القارئ المسبقة، هنا تجاوز ريكور التعارض بين الهيرومينوطيقا و نقد الأيديولوجيات. كما أن إمكانية التعامل مع التواصل من زاوية أنطولوجية تكمن في اعتبار التواصل آلية لانفتاح الذات على عالم شاسع من إمكانيات الوجود.

لنتضح بذلك أن قيمة التواصل البيئنتقافي تكمن في جعل الآخر يذعن للتجربة الإنسانية التي تعبر عن أنطولوجيته، و تمنح الذات الثقة في ذاتها لتكشف بدورها عوالمها الخاصة التي تحفز على الإبداع، في حين توفق فيها شرارة النقد الذاتي لاختيارات الذات و مساراتها، بيد أن تحقيق الذات و التواصل معها يستلزم شروط التي تتصل بالتنوع الثقافي.⁴⁰

3- IV- فعل التواصل يتجاوز التمركز الذاتي:

بول ريكور قد تبنى أخلاقيات التواصل و التطرق إلى الصداقة و قيم الرعاية، بغية خلق تفاهم بين ذاتي، فتصدى لمرجسية الأنا من خلال إرسائه لقيم جديدة مستعينا بأراء ليفيناس و هابرماس، في حين إن تجربة التواصل تتمخض عن علاقة تفاعلية أي تفاعل الأنا مع الآخر، التوجه نحو الآخر بغية خلق حوار بناء يفتح الأفاق لتعايش سلمي قائم على أخلاقيات اعتمدت عليها فلسفات التواصل، و هو فعل أخلاقي يؤدي حتما إلى الانفتاح و التحرر من كل القيود التي سنتها فلسفات الكوجيتو. هذا التواصل الذي يعتمد على النقد الذي يسعى لتجاوز كل دوغمائية افتعلتها الذات.⁴¹

إنها أخلاق بعيدة عن مظاهر العنف، فهي تعزز لأخلاق النقاش و التواصل في إطار قيمي كلي و شامل تتجاوز التمركز الذاتي، لتوطيد جسور التواصل بين المتحاورين مؤسسة على قيم الحرية و العقلانية ضمن مجالها التفاعلي في العلاقات البيئذاتية. فالالتزام بأخلاقيات النقاش و التواصل تقوم على الاحترام و الرغبة في الحوار كبديل عن العنف و الاكراه و الاستبداد الممارس على الآخرين، فهي قراءة تتشارك فيها الأنا و الآخر بشكل تواصلية تضمن العيش المشترك، ما يعرف بأخلاق المناقشة حسب هابرماس.⁴²

فالأنا المتعالية أشبه بمرض أصاب الحداثة مما جعل ريكور ينتقد التمركز الذاتي الذي يهمل الآخر من أجل إصلاح العلاقة بين و الآخر، و زحزحة فلسفة الذات و إحلال محلها الفعل التواصلية محك الحوار و النقاش. التواصل بين الذات لتحقيق إنسانية تجمعها دون إلغاء الخصومة بين الذات و الآخر، بل الحفاظ على الاختلاف القائم بينهما و الاعتراف بالاختلاف الذي يميز الآخر عن الذات فيجعل التواصل ممكنا و يعزز من فعله.⁴³

من جهة أخرى يقود التفكير في جدلية الهوية و الغيرية إلى البحث في الوسائط الرمزية التي تعبر بمثابة الجسور المحددة لعلاقة الأنا بالآخر، و من ثم تحقيق آليات التواصل التي تساعد على تحديد الميكانيزمات للتواصل مع الآخرين، الميكانيزم الأبرز الذي يعد كوسيط رمزي و تفاعلي داخل العالم المعيش الذي يتمثل في اللغة.⁴⁴ صنف ريكور التواصل اللغوي أنه أرقى أنواع التواصل، لأنه خاص بالإنسان. فالتواصل واقعة صريحة تتجلى فيها علاقة الأنا بالآخر، إذ يسعى ريكور إلى تحقيق معنى الإنسان التواصل في الحياة، مما جعله يتطرق إلى البحث في فلسفة هابرماس، ذلك لأن العقل الأخلاقي عبارة عن معايير تنظيمية يؤسسها العقل اللغوي التداولي الذي يسعى للتعميم. كما أن غاية التواصل في هذا السياق تقوم على افتراض اللغة كوسيط من أجل عملية التفاهم، بحيث عملية الفعل التواصلية تهدف إلى بلوغ تفاهم بين ذاتي، و الهدف من هذا التفاهم هو بلوغ الاتفاق الذي يمكنه القضاء على تمركز الذات.

إذن فعل التواصل يهدف إلى خلق تعددية الآراء و تنوعها...⁴⁵ أما الاتفاق فهو نابع من التفاهم بين الأفراد الذين ينشأ بينهم التواصل، و بالتالي التجربة الإنسانية ببراء معرفتها لا لا تتحقق إلا بوجود آخر يكون أساسا واجبا في التواصل و الاعتراف. بمعنى لوجود حقيقة واحدة تتميز بها الذات دون الآخر، فالحقيقة هي ما تشترك فيها الذات و الآخر في خضم تلك التجربة التواصلية. لأن التواصل بدوره يحتاج إلى العدالة التي تكفل حقوق الناس و تعزز العلاقة بين الأنا و الآخر للعيش سويا، وفق نظام تسوده العدالة كون العدل يتوسط العلاقات بين الأشخاص و حتى المؤسسات التي لها دور في تحقيق العيش المشترك دون إلغاء استقلالية الفرد.⁴⁶

V - الرهان اليتقي للعلاقات الإنسانية:

تتلخص آفاق العلاقات الإنسانية في بناء مجتمع حوارى يقوم على قبول الآخر المختلف عن الذات، و هنا يأخذ التواصل دوره الفعال في تأكيد الذات و التأثير على الآخر، و ذلك ضمن علاقات قائمة على الاختلاف و الحوار و التسامح و العيش المشترك..

1 - V - مبدأ الاختلاف و فعل التواصل: أية علاقة؟

إن تبادل الأفكار و الآراء وفق سبل إيتيقية قائمة على التحاور و الاختلاف و الاعتراف و التناقص تؤدي إلى إعادة الاعتبار إلى الذات الفاعلة في فضاء المجتمع.⁴⁷ ثم إن تعدد الرؤى و المواقف يستند إلى مبدأ التحاور و الإنصات و المسائلة و نقد الآخر، بل شرط التفلسف مبني على تفعيل الحوار و التواصل، كما أن احترام الآراء المعارضة و المغايرة تشجع على إبداع مفاهيم و أفكار أكثر عقلانية، هنا يكمن الحق في الاختلاف و ضرورة التواصل لاستثمار ما يطرحه رأي الآخر المختلف عن رأي الأنا داخل الفضاء العام. ليتضح بذلك أن التواصل يحدث من خلال تدخل الآخر في تكوين الأنا و بناء الهوية الذاتي، لأن الأنا المتعالية المتمركزة حول ذاتها لا مكان لها في عالم التواصل و التفاعل بين الذوات و التفاعل الاجتماعي.⁴⁸

غالبا ما يكون التواصل قائم على مبدأ الاختلاف، إذ عن طريق التواصل يمكن فهم ما كان مبهم و ملتبس.. في حين عملية التواصل لا تقوم على الارسال و الاستقبال بل هي قائمة على الإخبار و المعلومة و الفهم، فتكون المعلومة جملة مفاهيم و أفكار مختلفة، هنا يحدث الإخبار بالمعلومة التي لا يملكها الآخر حتى يتسنى له فهمها في إطار عملية التواصل، بمعنى عندما تفهم الأنا أن الآخر قد أخبرها بمعلومة تحدث عملية التواصل بينهما.⁴⁹ و بالتالي التواصل هنا لا يتحقق إلا في إطار فهم الاختلاف الوارد بين المعلومات و الإعلان أو الإخبار بها، و هذا لا يعني أن التواصل هو دعوة إلى القبول و الخضوع و التسليم، و إنما هو تجاوز لمنطق الهوية و تأكيد للاختلاف. الاختلاف الذي يعزز التنوع الثقافي و يساهم في تأصيل الهوية ضمن وحدة الذات الإنسانية، إذ يشرح ذلك ريكور في قوله: "احترام الآخر ليس من طبيعة مختلفة عن الاحترام الذي أبدية نحو الآخر لأن الإنسانية هي ما أحترمها في الآخر و في ذاتي"، هنا يكمن الفعل اليتقي الذي يضمن معايير الفعل التواصلية.⁵⁰

2 - V - فعل التواصل يهذب تضاد الذوات و عنفوانها:

الذات الإنسانية تسعى دوما إلى البحث عن البنية الثنائية الحوارية للعيش المشترك سواء كانت العلاقة تحكمها الصداقة و الحب أو فكرة العدالة، بمعنى العيش المشترك لا يكون دائما وفق العلاقات الإنسانية بل يمكن أن يأخذ صورته في المؤسسات التي توفر الرغبة في العيش المشترك مع الآخر عن طريق الصداقة.⁵¹ أما في حالة الاختلاف مع الآخر الذي يؤدي إلى العنف البشري فهنا أقر ريكور بضرورة أخذ مسافة عن صفة العنف التي يتغذى منها كل و عي بالتضاد مع الآخر، و غالبا ما يتجلى في شكل كلام و لغة لأنها أداة التواصل بين الطرفين، ليؤكد بذلك ريكور على وجوب الفصل بين العنف و الخطاب، في حين أشار إلى هذا إريك فاييل مؤكدا على وجوب الاتفاق على أخلاقيات تحكم الخطاب و تفصله عن العنف قائلا: "إن الإنسان العنيف الذي لا يقبل الخطاب مع إنسان آخر فإنه يحاول التعبير عن ذاته فقط كما يشعر هو لا كما هو واقعي"، و هذا يكون لا يقبل آراء المختلف عنه لذا يلجأ إلى العنف إما تهربا من فكر أقحم شخصه، و إما تجاوزا للحدث بأصله حتى يبرر موقفه و ينجيه من الغلبة.⁵²

كما قد يتراوح هذا النوع من العنف من الفرد إلى الجماعة بغية إقصاء الآخر و إبعاده عنه. لذا أسس ريكور مشروعاً فلسفياً من خلال منهجه التأويلي، أي إدراك و فهم الذات من خلال الآخر و ذلك بعيداً عن العزلة التأملية كما جاء في اعتقاد ديكرت، لأن ما تعيشه الذات من صراعات سيكولوجية و أكسيولوجية مفتعلة و عفوية مع عالمها الداخلي و الخارجي سيختزل البراديعم الديكرتي و يتجاوز الكوجيتو " أنا أفكر " بالانفتاح على الآخر بدلاً من التمرکز حول الذات.⁵³ ليحسم بذلك ريكور الإقرار باستحالة الفصل بين الأنا و الآخر، و يعلن عن علاقة التكامل الموجودة بينهما في تأهيل الذات و بلورة الوعي و إحياء الفكر و إثراء المعرفة ليساهم كل من هذا في توضيح قيمة مفهوم الاختلاف الذي لولاه لما ثار الجدل و اشتد النقاش و ساد التواصل و حدث الاعتراف و تأسست معالم الهوية في أبهى حلتها الذاتية. و هذا ما يستدعي الوعي بما تحمله الهوية من التزاماتها الذاتية و الاجتماعية و القانونية و الأخلاقية أمام الآخر حتى يتم التأسيس للثقة على أساس الالتزام بالعهد كضرورة حضارية لتأسيس العلاقات الاجتماعية و السياسية و القانونية بحيث يصبح الأنا يحاسب أعماله و يراقبها و مسؤول عنها أمام الآخر و الغير.⁵⁴ كما أن الحوار هو أساس معالجة تصدع العلاقة بين الأنا و الآخر، الحوار الذي لا يهدف إلى التوافق في الآراء بين الطرفين بقدر ما يهدف إلى خلق مناخ للتعايش، لأن العيش المشترك يعتبر سلوكاً إيتيقياً قيم و فعل حضاري راقى يعزز فعل التواصل و الحوار بين الذات فيساهم بذلك على ترسيخ أخلاقيات الاختلاف مقابل التعددية الثقافية.⁵⁵

3- V- تحقيق العيش المشترك وفق ثقافة الحوار:

فالتنوع الثقافي يؤدي إلى خلق منظومة حياتية متكاملة تنتشر ثقافة الحوار و فكرة تقبل الآخر المخالف للأنا و التعامل معه بكل إنسانية لأن الحوار يعني البعد عن الإقصاء و كلما كان أسلوب الحوار و التعبير متاح كلما ساهم في إثراء التنوع الثقافي الذي يساعد على التعايش مع بعض.⁵⁶ فمن خلال الحوار العقلاني يكون هناك احترام حرية الآخرين في شكل حضاري و غير نمطي يؤسس لوحدة شاملة تجمع كل الثقافات تحت مظلة التعايش و الاعتراف بل يستحيل أن يكون التعايش من دون اعتراف متبادل. الاعتراف الذي يساهم في بلورة نسق العيش المشترك في الحين يحد فيه من التناحر الاجتماعي.

بمعنى التعايش ما هو إلا إيتيقا تساعد على تقبل الآخر و الاعتراف به، و من ثم هو عنصر للحفاظ على التنوع الثقافي الذي يستدعي ضرورة انبثاق الوعي الثقافي في التعامل مع التنوع الفكري و الحضاري مع مراعاة الثوابت التي تميز الشخص أو المجتمع دون الآخر، أي الالتزام بالهوية الثقافية مع احترام ثقافات الآخر و الانفتاح عليها وفق مبدأ العيش المشترك و نبذ الإقصاء و التهميش لأن كل انغلاق و تطرف في الحياة اليومية لا يفضي إلا إلى صراع و تشتت لذا وجب التحلي حسب بول ريكور بثقافة التعايش القائمة على مبدأ الاعتراف بالآخر وفق أسس و معايير إيتيقية.⁵⁷ بل إن الخطاب الفلسفي المعاصر ينتقل فيه مجال البحث من المستوى الأنطولوجي إلى المستوى الإيتيقي من خلال تحديد معالم الهوية و التأسيس للغيرية كبراديعم يضمن نظام الحياة و العيش المشترك ما دام إدراك الأنا لا يتحقق إلا في حضرة الآخر حسب ريكور.⁵⁸ فالوجود مع الآخر دوماً يفرض تواضع الأنا للآخر و تقبل الآخر للأنا، و هذا ما يدل على أنها علاقة قائمة على المعاشاة بلغة هايدغر. فعلى هذا النحو تكون إيتيقا العيش المشترك نظرية عامة تنظم العلاقة مع الآخر على المستوى التواصل و الحوار و الحجاجي لإزالة مبدأ الهيمنة عند كل لقاء بين الأنا و الآخر في اليومي المعيش. و هو ما أشار إليه هابرماس في قوله: " الإنسان كائن إيتيقي تواصل " بحيث ميزة التواصل تعزز طرح مسألة الإيتيقا في العصر الراهن، و هي التي يفضي عليها طابع المشروعية لأن كل خطاب يقتضي وجود آخر، لذا لا بد من استدعاء الإيتيقا عند كل لحظة تواصلية.⁵⁹

فالإنسان من منظور الفلسفة المعاصرة هو الذي التزم التزاماً إيتيقياً في حياته و مجتمعه قصد التعايش الممكن مع الغير، كما أن التنظير الفلسفي الخاص باليومي و مساءلته يستدعي فضيلة الغيرية و الانفتاح على الآخر و العيش سوياً.⁶⁰ يمكن القول أن مسألة العيش مع الآخر في اليومي المعيش يحيلنا إلى تقدير الإنسان على تمايز لغاته و أديانه و ثقافته و أعراقه ليظهر بذلك الدور الإيتيقي لمسألة العلاقة بين الأنا و الآخر تحت شعار " العيش معاً "، لأن اعتراف الأنا بالآخر يحدث على أن يكون الأنا راعيتها و هذا ما يسميه بول ريكور " إيتيقا الرعاية " ليتمكن بذلك من تجاوز الإحراج وفق أسس إيتيقية تصبوا إلى الأنا و الأنسنة و التي تعير أساس و شرط قيام الحادثة في معناها الأكسيولوجي و اليومي في معناه الإيتيقي.

IV - الخاتمة:

من خلال هذه المقاربة الفلسفية يتضح أن رغم من المواضيع التي اشتغل حولها ريكور، إلا أن الخيط الناظم و المركزي الذي تلف حوله كل مواضيعه تتمحور حول اتقيا العلاقات البيئانية، كما يمكن أن نخلص إلى توضيح ما جسده العولمة للمجتمعات البشرية من تقنيات حديثة، التي ساهمت من خلالها في إثراء المعارف و المكتسبات الثقافية في مختلف مجالات الحياة، و من ثم في تكثيف وتيرة التعددية الثقافية سواء في المجتمعات الحديثة أو التقليدية، أين أصبحت الهوية الذاتية للإنسان تشهد تنوع ثقافي غالبا ما يهز ثوابت أصالتها الموروثة، و ذلك بتبني ثقافة الآخر و مواكبة ركب تطوره بغية التعايش مع رهانات العصر الحالي.

كما يتجلى بوضوح أن الاختلاف هو سبيل للتعايش و لخلق الحوار ثم التواصل المبني على التفاهم و تقبل الآخر، لأن الغاية من التواصل تكمن في الوصول إلى التفاعل بين طرفين أو أكثر سواء بواسطة اللغة الصوتية أو المكتوبة. و لعل هذا سيان ما اعتمده ريكور في اعتباره الاختلاف كتجربة محايدة للذات عينها و تجعل من الآخر بمثابة وسط ضروري في فهم الذات ضمن عالمها الأنطولوجي.

في حين إن دياليكتيك الهوية يحيل إلى غيرية مؤسسة للذات عينها، إذ طرح سؤال الغيرية في قلب الذاتية، و هنا ضرب من الغيرية المتشابهة ذاتيا مع الذات بفعل عملية الاستدلال التي يقوم بها الشخص لما هو خارجي، و من ثم تكتسب هذه الغيرية درجة من الحميمية تجعل الفكر يقتضي بالضرورة التفكير في الذاتية و العكس صحيح. و لا يتسنى ذلك إلا في خضم تجربة الاختلاف التي ينبق منها التنوع الثقافي الذي يعزز بدوره عملية الفعل التواصلية بين الذات الإنسانية عينها و بين الأشخاص و المجتمعات.

أيضا نستنتج أن مسألة العيش المشترك أخذت مشروعيتها في الحقل الفلسفي، و أخرجت الخطاب الفلسفي من انغلاقه إلى فلسفة مفتوحة يمكن النظر إليها من خلال فلسفة ريكور، كموضوع للتفكير الفلسفي الذي يستدعي مفاهيم الهوية و الغيرية في إطار علاقة الأنا بالآخر، التي تفضي بالانفتاح على الإنسانية ليخلص بذلك ريكور إلى أن الذات تشمل الأنا و الآخر و تقوم علاقتها مع الغير سواء شخصا كان أو نصا، و كل من هذا يؤسس لنمط العيش المشترك في اليومي المعيش وفق أسس إيتيقيّة، و لا مجال لمركزية الذات التي تعزز الأناية و تقصي الآخر حسب ريكور، بل اعتراف الأنا بغيرها تجسد البعد الإيتيقي التي تقوم عليه الفلسفة الريكورية.

كما لا يمكن تصور العيش المشترك بين الذات و الهويات إلا في كنف التعددية الثقافية التي أبانت بها معالم العولمة وفق منحى قائم على مبادئ إيتيقيّة كتفعيل التواصل الحضاري و الحوار العقلاني، ليسود الوفاق المنوط بقيم التعارف و الاعتراف و الاختلاف و التسامح و الاحترام المتبادل، بغية الانفتاح على غيرية الآخر و تقبله لضمان العيش بسلام.

و في الأخير بعد ما تم التطرق إليه نخلص إلى أن ما أبانت به العولمة من تعاليم ثقافية شكل نسيج تعددي داخل المجتمع الواحد الذي مس الجانب الهوي للذات الإنسانية، فأصبحت تعيش تحدي بين الحفاظ على موروثة العتيق و بين تبني الفكر الثقافي الحديث، لتأخذ بذلك قيم الاعتراف و التعايش دور أساسي في تهذيب السلوك الإنساني على نحو إيتيقي و حضاري، بإمكانه التعايش مع الصرح المعلوماتي و ما يكتنفه من تنوع ثقافي دون التخلي عن أصول الهوية و معالمها الأساسية في الذات الإنسانية.

المراجع العربية:

- 1- الناصر عبد اللاوي، الهوية و التواصلية في تفكير هابرماس، دار الفرابي، بيروت، الطبعة الأولى، 2017.
- 2- أحمد عبد الحليم عطية، العيش سويا - قراءات في فكر التريكي فتحي -، دار الثقافة العربية، القاهرة، بدون طبعة، 2008.
- 3- أحمد زويل، حوار الحضارات، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، 2007.
- 4- إبراهيم عبد الله، المطابقة الاختلاف: المركزية الغربية (إشكالية التكوّن و التمرکز حول الذات)، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1997.
- 5- إريك فايل، الفلسفة، الخطاب و العنف، ترجمة: أنوار حمادي، مؤنون بلا حدود للدراسات و الأبحاث، الرباط (المغرب)، 2019.
- 6- جولد ستروك، البنيوية و ما بعدها من لفّي ستراوس إلى دريدا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، بدون طبعة، 1996.
- 7- زروخي الدراجي، المذاهب الفلسفية الكبرى "من سؤال المعرفة إلى سؤال القيم"، دار صبحي، الطبعة الأولى، 2015.
- 8- حاتم الورفلي، بول ريكور الهوية و السرد، دار التنوير، بيروت، بدون طبعة، 2009.

- 9- محمد عابد الجابري، التواصل – نظريات و تطبيقات-، الشبكة العربية للأبحاث و النشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2010.
- 10- محمد عابد الجابري، التراث و الحداثة –دراسات و مناقشات-، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، بدون طبعة، 2007.
- 11- محمد عابد الجابري، إشكالية الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994.
- 12- مصطفى بن تمسك، الذات المتعددة لدى بول ريكور، مؤمنون بلا حدود للدراسات و الأبحاث، الرباط (المغرب)، 2016.
- 13- مصطفى بن تمسك، أصول الهوية الحديثة و عللها، دار جداول، بيروت، الطبعة الأولى، 2014.
- 14- علي حرب، أسئلة الحقيقة و رهانات الفكر، دار الطليعة، بدون طبعة، 1994.
- 15- علي حرب، العالم و مأزقه "منطق الصدام و لغة التداول"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء (المغرب)، الطبعة الأولى، 2002.
- 16- فتحي التريكي، فلسفة الحياة اليومية، الدار المتوسطية للنشر، تونس، الطبعة الأولى، 2009.

الترجمة:

- 1- بول ريكور، الذات عينها كآخر، ترجمة جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، 2005.
- 2- بول ريكور، أبحاث في التأويل "من النص إلى الفعل"، ترجمة: محمد برادة، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، الطبعة الأولى، 2001.
- 3- بول ريكور، بعد طول تأمل، ترجمة: فؤاد ملّيت و منير الكشو، بيت الحكمة، تونس، الطبعة الأولى، 2003.
- 4- بول ريكور، فلسفة الإرادة "الإنسان الخطأ"، ترجمة: نجيب الدين عدنان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بدون طبعة، 2006.
- 5- جان بول سارتر، الكينونة و العدم: بحث في الأنطولوجية الفينومينولوجية، ترجمة: نيقولا متيني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2009.
- 6- دولوز جيل، ماهي الفلسفة، ترجمة: فيكسي قيتاري، المركز الثقافي العربي، بيروت، بدون طبعة، 1997.
- 7- يورغن هابرماس، إيتيقا المناقشة و مسألة الحقيقة، ترجمة: عمر مهيب، منشورات الاختلاف، الجزائر، بدون طبعة، 2010.

المجلات:

- 1- كريمة بلعز، فلسفة التعايش و دورها في التنوع الثقافي، مجلة آفاق علمية، جامعة سعيدة، المجلد 11، العدد 03، 2019.
- 2- نادية درقام، الأنا و الآخر و فلسفة التواصل، مجلة أبعاد، العدد 01، المجلد 08، الجزائر، جامعة وهران 02، جويلية 2021.
- 3- عبد السلام طويل، من التعايش إلى العيش المشترك، نظرات في تدبير التعددية الثقافية، مجلة الإحياء، المغرب، بدون سنة.
- 4- روضة مبادرة، الهوية و الاستنارة في الفكر العربي المعاصر فتحي المسكيني نموذجاً، مجلة ألفا للدراسات الإنسانية و العلمية، العدد 02، المجلد 02، 2021.

الأجنبية:

- 1- Axel Honnête, Reconnaissance et reproduction sociale la reconnaissance à 1 preuve. Presses universitaires, paris, 2008.
- 2- Paul Ricœur, Soi – même comme une autre, Edition seuil, Paris, 1990.
- 3- Pierre Jens, Warner: la mondialisation de la culture, Alger « casbah », 1999.

¹ Pierre Jens, Warner : la mondialisation de la culture Alger casbah 1999, P 14.

²Ibid, P 15.

³ روضة مبادرة، الهوية و الاستنارة في الفكر العربي المعاصر فتحي المسكيني نموذجاً، مجلة ألفا للدراسات الإنسانية و العلمية، العدد 02، المجلد 02، 2021، ص 241.

- 4 المرجع نفسه، ص 242.
- 5 مصطفى بن تمسك، أصول الهوية الحديثة و علها، دار جداول، بيروت، الطبعة الأولى، 2014، ص 235.
- 6 المرجع نفسه، ص 227.
- 7 عبد السلام طويل، من التعايش إلى العيش المشترك، نظرات في تدبير التعددية الثقافية، مجلة الإحياء، المغرب، بدون سنة، ص 311.
- 8 Axel Honnête, Reconnaissance et reproduction sociale la reconnaissance à 1 preuve. Presses universitaires, paris, 2008, P 51.
- 9 عبد السلام طويل، مرجع سبق ذكره، ص 310.
- 10 محمد عابد الجابري، إشكالية الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994، ص ص 50 - 51.
- 11 المرجع نفسه، ص 52.
- 12 أحمد زويل، حوار الحضارات، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، 2007، ص 112.
- 13 إبراهيم عبد الله، المطابقة الاختلاف: المركزية الغربية (إشكالية التكوّن و التمرکز حول الذات)، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1997، ص ص 38/36.
- 14 محمد عابد الجابري، التراث و الحداثَة - دراسات و مناقشات -، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، بدون طبعة، 2007، ص 15.
- 15 إبراهيم عبد الله، مرجع سبق ذكره، ص ص 56-57.
- 16 دولوز جيل، ماهي الفلسفة، ترجمة: فيكسي قيتاري، المركز الثقافي العربي، بيروت، بدون طبعة، 1997، ص ص 40-41.
- 17 المرجع نفسه، ص ص 125-126.
- 18 المرجع نفسه، ص 13.
- 19 علي حرب، أسئلة الحقيقة و رهانات الفكر، دار الطليعة، بدون طبعة، 1994، ص 135.
- 20 إبراهيم عبد الله، مرجع سبق ذكره، ص ص 324-325.
- 21 جولد ستروك، البنيوية و ما بعدها من لفّي ستراوس إلى دريدا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، بدون طبعة، 1996، ص 190.
- 22 حاتم الورفلي، بول ريكور الهوية و السرد، دار التنوير، بيروت، بدون طبعة، 2009، ص 126.
- 23 المرجع نفسه، ص 128.
- 24 بول ريكور، الذات عينها كآخر، ترجمة جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، 2005، ص 553.
- 25 المرجع نفسه، ص 13.
- 26 المرجع نفسه، ص 14.
- 27 علي حرب، العالم و مأزقه "منطق الصدام و لغة التداول"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء (المغرب)، الطبعة الأولى، 2002، ص 179.
- 28 Paul Ricœur, Soi – même comme une autre, Edition seuil, Paris, 1990, P 13.
- 29 Ibid, P14.
- 30 Ibid, P 655.
- 31 الناصر عبد اللاوي، الهوية و التواصلية في تفكير هابرماس، دار الفرابي، بيروت، الطبعة الأولى، 2017، ص ص 151/145.
- 32 المرجع نفسه، ص 160.
- 33 نادية درقام، الأنا و الآخر و فلسفة التواصل، مجلة أبعاد، العدد 01، المجلد 08، الجزائر، جامعة وهران 02، جويلية 2021، ص 43.
- 34 المرجع نفسه، ص 47.
- 35 بول ريكور، بعد طول تأمل، ترجمة: فؤاد مليت و منير الكشو، بيت الحكمة، تونس، الطبعة الأولى، 2003، ص 11.
- 36 المرجع نفسه، ص 285.
- 37 بول ريكور، الذات عينها كآخر، مرجع سبق ذكره، ص ص 08-09.

- ³⁸ بول ريكور، أبحاث في التأويل "من النص إلى الفعل"، ترجمة: محمد برادة، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، الطبعة الأولى، 2001. ص ص 79-80.
- ³⁹ المرجع نفسه، ص ص 88-89.
- ⁴⁰ بول ريكور، الذات عينها كآخر، مرجع سبق ذكره، ص ص 176-177.
- ⁴¹ المرجع نفسه، ص 177.
- ⁴² يورغن هابرماس، إيتيقا المناقشة و مسألة الحقيقة، ترجمة: عمر مهيبيل، منشورات الاختلاف، الجزائر، بدون طبعة، 2010. ص ص 40-41.
- ⁴³ بول ريكور، الذات عينها كآخر، مرجع سبق ذكره، ص 537.
- ⁴⁴ بول ريكور، فلسفة الإرادة "الإنسان الخطأ"، ترجمة: نجيب الدين عدنان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بدون طبعة، 2006. ص 141.
- ⁴⁵ زروخي الدراجي، المذاهب الفلسفية الكبرى "من سؤال المعرفة إلى سؤال القيم"، دار صبحي، الطبعة الأولى، 2015. ص ص 286-287.
- ⁴⁶ بول ريكور، الذات عينها كآخر، مرجع سبق ذكره، ص ص 390-391.
- ⁴⁷ محمد عابد الجابري، التواصل – نظريات و تطبيقات، الشبكة العربية للأبحاث و النشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2010. ص ص 23-24.
- ⁴⁸ المرجع نفسه، ص ص 32-33.
- ⁴⁹ المرجع نفسه، ص ص 40/43.
- ⁵⁰ بول ريكور، فلسفة الإرادة "الإنسان الخطأ"، مرجع سبق ذكره، ص 290.
- ⁵¹ المرجع نفسه، ص ص 67 – 68.
- ⁵² إريك فايل، الفلسفة، الخطاب و العنف، ترجمة: أنوار حمادي، مؤمنون بلا حدود للدراسات و الأبحاث، الرباط (المغرب)، 2019، ص ص 11 – 12.
- ⁵³ مصطفى بن تمسك، الذات المتعددة لدى بول ريكور، مؤمنون بلا حدود للدراسات و الأبحاث، الرباط (المغرب)، 2016، ص 06.
- ⁵⁴ بول ريكور، الذات عينها كآخر، مرجع سبق ذكره، ص 234.
- ⁵⁵ أحمد عبد الحليم عطية، العيش سويا - قراءات في فكر التريكي فتحي -، دار الثقافة العربية، القاهرة، بدون طبعة، 2008، ص ص 05 – 06.
- ⁵⁶ كريمة بلعز، فلسفة التعايش و دورها في التنوع الثقافي، مجلة آفاق علمية، جامعة سعيدة، المجلد 11، العدد 03، 2019، ص ص 09 – 10.
- ⁵⁷ المرجع نفسه، ص ص 13 – 14.
- ⁵⁸ جان بول سارتر، الكينونة و العدم: بحث في الأنطولوجية الفينومينولوجية، ترجمة: نيقولا متيني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2009، ص 327.
- ⁵⁹ يورغن هابرماس، إيتيقا المناقشة و مسألة الحقيقة، مرجع سبق ذكره، ص 08.
- ⁶⁰ فتحي التريكي، فلسفة الحياة اليومية، الدار المتوسطية للنشر، تونس، الطبعة الأولى، 2009، ص 25.